مراعـاة البعد الحضـاري لتحقيق التنمية والاستقرار وواقـع العالم العربي

د. المصـري مبروك
أستاذ محاضر بجامعة أدرار

مقـدمة

بسم الله الـذي باسمـه يحـل الأمـن والسـلام اسم مـن أسمـاء الله الحسنى تفرد به جل عـلاه والسلام أمان أمرنا رب العزة بالدخول فيـه فقـال : ‹‹ يـا أيهـا الـذين ءامنـوا ادخلـوا فـي السـلم كافـة ›› البقـرة 208 ، والصـلاة والسلام على رسول الإسلام الـذي قـال عن نفسـه ‹‹ إنمـا أنـا رحمـة مهداة ›› حيث أمر بالسلام وجعل تحية الإسلام ‹‹ السلام عليكم ›› إذ السـلام أمـان ولا كلام إلا بعد الأمان .

وبعد :

فان ما يصلح به حال الإنسان في هذه الدنيا ثلاثة أشياء – كما قال الحسن البصري وهي قواعد أمره ونظام حاله وهي :

- نفس مطيعة إلى رشدها منهية عن غيها .
- وألفة جامعة تعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها .
- ومادة كافية تسكن نفس الإنسان إليها ويستقيم أوده بها .

ولما كان الإنسان مدنيا بطبعه ارتبط أمنه واستقراره بهذه القواعد الثلاث ولن يتأتى له أمن أو استقرار إلا بمراعاتها ، إذ النفس البشرية مجبولة

المنارة للاستشارات

على الطمع والاستزادة بحبها للمال والجاه قال تعالى: ‹‹ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ››

وقال صلى الله عليه وسلم ‹‹ إذا أوتى ابن آدم واديين من ذهب لتمنى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ›› .

ولذلك جعل الإسلام ، السلام مبدأ من مبادئه السامية ، ودعا إليه ورغب فيه في كثير من آي القرآن الكريم ، وجعل الناس أمة واحدة ، فقال تعالى : ‹‹ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ›› الإسراء 7

وإنما جعل مقاس التفاضل بين بني البشر بالتقوى فقال تعالى :‹‹ إن أكرمكم عند الله اتقاكم ›› الحجرات 13

ولم يجعل هذا التفاضل في الأحقية بالأمن والطمأنينة ، وانما أوجب السلام وجوبا قاطعا لكل البشر مهما اختلفت عقائدهم وديانـاتهم ما داموا دعاة للسلام وبالفعل قبل القول قال تعالى ‹‹ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ›› الممتحنة 10

أمر سبحانه بالبر والعدل وهما مطية السلام .

ودعوة الإسلام إلى السلام هي دعوة إلى الأمن والأمان ودعوة إلى نبذ الحرب والخراب ولذلك يقول تعالى‹‹ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ›› الأنفال 61

وليس دعوة الاستسلام ولذلك يقول تعالى : ‹‹ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ›› .

المنارة للاستشارات

وقال تعالى ‹‹ فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ›› النساء 90 .

وسأتعرض إلى القاعدة الثالثة ‹‹‹ ومادة كافية تسكن نفس الإنسان إليها ويستقيم أوده بها ››

وكيف أن الإنسان بطبعه الذي جبل عليه أن يميل إلى تحقيق حاجاته الفسيولوجية أولا وإنه يغير هذا التحقيق لن يحقق أمن ولا استقرار وأن الأمة إذا لم تحقق أمنها الغذائي بنفسها فإنها لن تسلم أبدا وستبيع دينها وسيادتها بعرض من الدنيا قليل .

تفعيل العنصر البشري في عمليتي الأمن والتنمية

* تفاعل عناصر الحضارة :

إن المنتوج الحضاري لأي شعب من الشعوب هو المادة الأولى التي يقوم عليها استمراره وأمنه القومي،وبقدر ما يملك من الطاقة البشرية الفاعلة والإرادة الطبيعية للبقاء والقدرة على تفاعل المنتوج الحضاري وامتزاجه بعقيدة راسخة تضمن تماسكه ووفرة عطائه،وبقدر ما يكون منتوجه الحضاري أكثر وفرة وأدعى إلى البقاء والتماسك في وحدة تحقق أمنا واستقرارا ، وبالتبع لذلك يتحقق الاستثمار وينبني العمران ويعمر.

وقد أشار المفكر مالك بن نبي –رحمه الله–إلى حقيقة يجدر بنا أن نتمثّلها لتحقيق نهضة عربية حقيقية تضمن لنا الاستقلال الغذائي كأقل تقدير ؛ لنسلم من التبعية المطلقة للغرب الذي أصبح يتلاعب بالذمم والمصائر حسبما يدعوه الترف إليه ، وكأننا منتزه أو حقل تجارب للغرب يستعملنا للترفيه عن نفسه وقت ما شاء، تارة باسم الشعوب الصديقة وأخرى

المنارة للاستشارات

باسم الشعوب العدوة (الإرهاب محور الشر، تهديد المصالح...) ، فقال – رحمه الله–:[1] أننا يمكننا أن نعبر عن كل منتوج حضاري بهذه المعادلة:

منتوج حضاري = إنسان + تراب +وقت.

وينتهي إلى المعادة التالية:

حضارة = إنسان + تراب + وقت.

وهذه المعادلة لا تكون صحيحة إلا بمراعاة شروط بينها التاريخ باعتباره مختبر للتجارب والعمليات الاجتماعية، وأن هذا المختبر قد أفاد أن الدين هو عامل مركب للحضارة.

فمن يدرس تاريخ الحضارة الغربية (توينبي)أو(ماسيس) يرى أثر الفكرة المسيحية في تركيبها وكذلك من يدرس الحضارة الإسلامية يرى في تركيبها أثر الإسلام ، وكذلك يرى من يدرس الحضارة البوذية أثر فكرة (توتا ما) كدين في تركيبها.

وينتهي المفكر مالك بن نبي إلى أن مشكلة الحضارة لا تحلّ باستيراد منتوجات حضارية موجودة، ولكنها تستوجب حل ثلاث مشكلات جزئية:

1–مشكلة الإنسان وتحديد الشروط اللازمة لانسجامه مع سير التاريخ.

2–مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية.

3–مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد.

وهكذا فإنه ما دام أي شعب من الشعوب تابعا لغيره غير مستقل فإن نماءه واستقراره تابع لذلك الغير ، ما دام استيراد المنتوج الحضاري لا

[1] مالك بن نبي ؛ تأملات ، ص 196 فما بعدها .

المنارة للاستشارات

ينتج حضارة ، وإنما قد ينتج ترفا متبوعا بإفراط أو تفريط وبالتالي فإن نتيجته تخمة اليوم و مخمصة غدا ، فعلى الأمة أن تعيّ هذا وأن تعمل جاهدة على الاستفادة من المنتجات الحضارية الغربية ، ببناء الإنسان الواعي الحامل لهموم أمته وتوفير الشروط اللازمة والضرورية لاستغلال الأراضي ومحاولة الاستفادة منها وترشيد استغلالها بوضع الأوليات التي تحتاجها الأمة ، مقدمة في ذلك مصلحة الأمة على مصلحة الفرد ، وأن تعمل على استثمار الزمن وأن لا تنسى أصلها وانتماءها وأن تستفيد بما في عصرها دون إفراط أو تفريط .

وما أجمل ما قاله أبو الحسن البصري –رحمه الله–في هذا:

((..ولولا أن الثاني يرتفق بما أنشأه الأول حتى يصير به مستعينا لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء كل ما يحتاجون إليه من منازل السكنى وأراضي الحرث ، وفي ذلك من الإعواز وتعذر الإمكان ما لا خفاء فيه ، فلذلك أرفق الله تعالى خلقه من اتساع الآمال حتى عمّر به الدنيا فتم صلاحها وصارت تنتقل بعمرانها إلى قرن بعد قرن فيتم الثاني ما أبقاه الأول من عمارتها ويرم الثالث ما أحدثه الثاني من شعثها لتكون أحوالها على الأعصار ملتئمة وأمورها على مر الدهور منتظمة...)).[2]

فبالوسطية يحقق الإنسان ذاته ويفرض وجوده واحترامه ويحقق أمنه واستقراره ، ويبني حضارته وينمي اقتصاده ، وهكذا تتحقق التنمية المستديمة ؛ البناءون كثر والمستفيد هو الإنسان وبهذا تتحقق رسالة الاستخلاف ((واستعمركم فيها)).[3]

---

[2] أبو الحسن البصري ؛ أدب الدنيا و الدين ، دار الفجر – القاهرة – (1983م) ، ص 125 .

[3] هود 61 .

المنارة للاستشارات

*** استقرار الإنسان مرهون بالأمن من الخوف والشبع من الجوع :**

خلق الإنسان وهو في حاجة إلى كثير من الحاجات التي بها يحيى ويعيش في أطوار حياته كلها ، و من حكمة المولى عز وجل أن خلق الإنسان في كبد ، ولم يخلقه سبهللا وأوجد المولى سبحانه وتعالى حاجات الإنسان في هذا الكون ، وسخّر له الكون تسخيرا .

قال ابن خلدون : ((علم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويمونه في حياته وأطواره من لدن نشوءه إلى أشده إلى كبره والله الغني وأنتم الفقراء ، والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه فقال : ((الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار))[4] .))[5]

وهذا الافتقار بالطبع يحتّم على الإنسان السعي للحصول على ما يبني به مادته البشرية ولأن ما سقط في يد الغير افتقر إليه الآخر ، وهكذا صار السعي لافتكاك الرزق حتمي لا مندوحة عنه وبقدر ما يحقق الإنسان من رزق استغنى به عن غيره ، وبقدر ما احتاج الإنسان إلى رزق افتقر لغيره وهذا الافتقار هو الذي يدفع بالأمة إلى الهاوية ؛ لأن من جاع بطنه لا يملك أن يقول لا لمن يقدم إليه قوتا ، ولا بد أن يملي شروطا ؛ بل يبقى طرفا مذعنا إما أن يرضى باللقمة بشروطها القاسية وإما أن يموت جوعا ؛ خيارين أحلاهما مرّ!

---

[4] إبراهيم (33،32).

[5] ابن خلدون ؛ مقدمة ابن خلدون ، دار الفجر ، ص 380 .

المنارة للاستشارات

ويقول الدكتور عبد الرحيم عمران [6]: ((إن العالم الإسلامي يواجه أحد خيارين :

إما التكافل ويسع المسلمون بعضهم بعضا، وإما أن يواجه المسلمون مأساة الموت جوعا خاصة وأن أكثر من 80% من المسلمين يعيشون تحت خط الفقر، فالمسلمون يمثلون خمس سكان العالم ومع هذا فمتوسط إنتاجهم من الغذاء يتراوح ما بين 2-9% وكان المفروض ألا يقلّ عن20% من الإنتاج العالمي للغذاء، ومعظم الدول الإسلامية لا تستطيع الوفاء باحتياجاتها للغذاء)).

فهل حان الأوان ليعي المسلمون هذه الحقيقة وليتمسكوا بقول الرسول الأعظم -صلى الله عليه وسلم- :" إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[7] وقد أصبح هذا الأمر (التكافل) من أوجب الواجبات وأولى الأولويات ، خاصة في هذا الزمان الذي تكالب على الأمة أعداؤها وأتوها من كل باب فهذا الشعب بأكمله يجوع ويقتل وتهدم دوره ومنشآته وتجرف مزارعه ومحارثه ويعزل عن العالم وتنتهك حرماته ومقدساته ومع ذلك كله يوصف بالإرهابي ، والفاعل (المجرم الحقيقي) يوصف برجل السلام ، ولا يجرؤ أحد على الإنكار أو مدّ يد العون والمساعدة ، لأنه إن فعل فهو إرهابي ، وبالتالي سيعاقب بأول ما يعاقب بقطع المعونات ويسلّم إلى الجوع والخوف ، ولو شدّ أحدنا انتباهه خبر من الأخبار على شاشة التلفاز فيسمع

---

[6] مستشار بمنظمة الصحة العالمية ، و الخبير بالأمم المتحدة بجامعة ميرلاند بالولايات المتحدة الأمريكية (مجلة الاقتصاد الإسلامي) ، انظر في ذلك : د/ خديجة النبراوي ؛ تحريم الربا و مواجهة تحديات العصر ، النهار للطبع و النشر ، ص (312،311) .

[7] رواه البخاري و مسلم و غيرهما .

المنارة للاستشارات

القتال هنا وهناك في أنحاء العالم ، فإن لم يجد طرفيه من المسلمين فأحد طرفيه حتمي ، ولا حياة لمن تنادي .

وقد امتنّ المولى سبحانه وتعالى على قريش بنعمتي الأمن من الخوف والشبع من الجوع فقال تعالى : ((لإيلاف قريش إيلا فهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف)) .[8]

فقد ألفت قريش رحلة الشتاء والصيف إلى اليمن والشام في التجارة وغيرها ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله ؛ فمن عرفهم احترمهم وكان الناس يتخطفون من حولهم ، فامتنّ عليهم سبحانه بهاتين النعمتين الكبيرتين ، ولو أن الله سبحانه وتعالى ما امتنّ على قريش إلا بهاتين النعمتين لكفاهم ليوحدوه بالعبادة سبحانه وتعالى .[9]

فدل هذا على ارتباط الأمن بالغذاء وأنهما كفرسي رهان لا يتخلف أحدهما عن الآخر ، فمن ملك أحدهما ملك الآخر .

<u>* الاهتمام بحاجات الإنسان و دوره في تحقيق التنمية و الاستقرار :</u>

لقد اهتمّ علم النفس الحديث بظاهرة الحاجات الإنسانية ، ومن أبرز من اهتم بها (أبرهام [10]ماسلو) رائد مدرسة علم النفس الإنساني[11] ، فقد صنف هذه الحاجات في مجموعات رئيسية وهي :[12]

---

[8] سورة قريش .

[9] انظر في ذلك : تفسير ابن كثير ، دار الفكر – بيروت – 554/4 .

[10]

[11] تقول هذه النظرية بتفرد الإنسان و ترفض المقررات التي تسوي بينه و بين الحيوان .

[12] انظر : ماجد عرسان الكيلاني ؛ أهداف التربية الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص 361 فما بعدها .

المنارة للاستشارات

- **الحاجات الفسيولوجية .**
- **حاجات الأمن .**
- **حاجات الانتماء .**
- **حاجات التقدير .**
- **حاجات تحقيق الذات .**

وأقوى هذه الحاجات ؛الحاجات الفسيولوجية لأنها ضرورية للحياة ، كالحاجة إلى الطعام واللباس ، والمأوى ، والزواج .

ولذلك فاهتمامات الإنسان تتجه أول ما تتجه إلى إشباع هذه الحاجات ، وتأخذ الأولوية في الاهتمام بينما الحاجات الأخرى لا يعيرها أدنى اهتماماته فإذا ما ضمن حياة الجسم والقيام بوظائفه ينتقل اهتمامه إلى حاجات الأمن ؛ كالحاجة إلى التحرر من الخوف والإيذاء الجسدي ، وكل ما يضمن حفظ النفس وصيانة ثروة الفرد وظيفته حتى يستطيع توفير الغذاء والمأوى لغده وما بعد.

وهذا الترتيب تشهد له سورة قريش حيث بدأ الله سبحانه و تعالى بالإطعام من الجوع ثم ثنّى بالأمن من الخوف ، في امتنانه على قريش بهاتين النعمتين .

ويضيف (ماسلو) ترتيب الحاجات في اهتمامات البشر على حسب اعتبارها وخطرها في حياتهم ؛ حيث تأتي في الدرجة الثالثة حاجة الإنسان إلى الانتماء فالعلاقة مع الآخرين قسيم الإنسان باعتبار مدنيته ، وهكذا حينما يحقق الإنسان انتماءه يبدأ الاهتمام في الحاجة إلى التقدير من أجل نيل احترام الجماعة التي ينتمي إليها ، من الثقة بالنفس والهيبة والقوة والهيمنة ، وشعور الفرد بأنه مقيد وله بعض التأثير في بيئته ، وإذا

المنارة للاستشارات

لم يستطع بعض الأفراد تحقيق احترام الجماعة بالإيجابيات لجأ إلى السلوك التدميري .

وتأتي في الأخير حاجة تحقيق الذات ، فبعد أن يشعر الإنسان أنه حقق حاجة التقدير يبدأ في مضاعفة الإنتاج لبلوغ أقصى ما يستطيعه من الإبداع ليحقق ذاته ، فالمفكر يحتاج إلى أن يكتب ويقرر أحسن ما يستطيعه من الأفكار ، والقائد يحتاج إلى تحقيق أروع الانتصارات ، والسياسي يحتاج إلى إنجاز أعظم الأعمال ، وهكذا يعمل الرياضي والمدير والطالب ؛ بل والأم في منزلها .

وهذه الحاجات تضعف أحيانا وتقوى أخرى ، وأقوى هذه الحاجات في لحظة معينة تقود إلى النشاط وتوجه السلوك كما هو في الشكل التالي :[13]

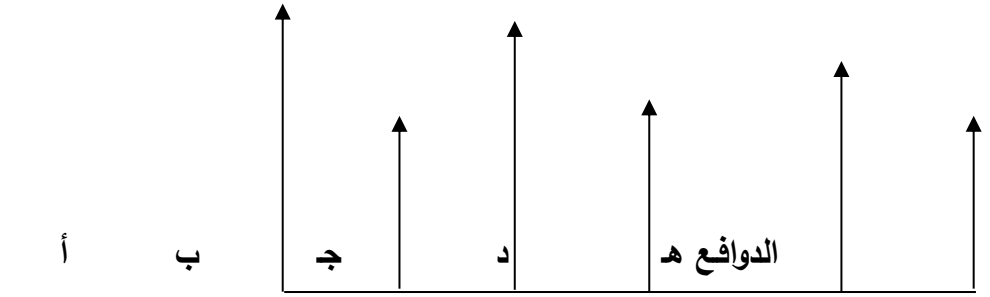

[13] ماجد عرسان ؛ المصدر السابق ، ص 362 .

المنارة للاستشارات

وإن كنّا نجد أن الإسلام قد دعا إلى تحقيق هذه الحاجات دعوة ظاهرة ؛ إلا أنه دعا إلى تحقيق ذلك للنوع البشري كله وليس إلى جنس بشري بنوعه.

ففي توفير حاجات الطعام والأمن للنوع البشري كله يقول تعالى : ((من كفر فأمتعه قليلا))[14] ، والقليل هو فترة الحياة الدنيا ، وهذا تعقيب على سيدنا إبراهيم – عليه السلام – عند ما قال : ((وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد ءامنا وارزق أهله من الثمرات من ءامن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا)) .[15]

وفي تحقيق الأمن والاحترام للنوع البشري كله قال تعالى : ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)) .[16]

ولكن اليوم نرى ونلحظ ونعيش أن البقاء للأقوى فحاجة التقدير والانتماء وتحقيق الذات أصبحت منتوجا حضاريا نستورده ، وحاجات الأمن أصبحت خصوصية الأقوى" أنت معي وإلا فأنت ضدي ، وإن كنت ضدي فأنت تهدد أمني ؛ ينبغي أن تدكّ وأن تقهر وأن يتقطّع أنفك ".

والغاشم المحتل سفّاك الدماء هدّام البيوت جرّاف الأراضي الزراعية قتّال الأطفال والنساء والشيوخ من غير ذنب، يوصف برجل السلام ، والماسك للحجر المدافع عن أرضه وبيته وعرضه وأمنه وسيادته ومقدساته إرهابي!

---

[14] البقرة 126 .

[15] الآية السابقة .

[16] الإسراء 70 .

المنارة للاستشارات

*** إعداد القوة شرط لتحقيق الأمن و الاستقرار :**

إن الأمــة لا تفـرض احترامــها ولا تحقـق أمنــها إلا إذا عملـت بمقتضـى قـول الله تعـالى : ((وأعدوا لهـم مـا استطعتم مـن قـوة ومـن ربـاط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم))[17]، والمقصود بـالقوة هو كل مـا يتقوى به في الحرب.[18]

وأول مـا يتقـوى بـه اقتصـاد قـوي ، وأمـن غـذائي متـوفر غيـر مستورد واعتماد على النفس في الغذاء والأمن ، ثم يـأتي فـي الدرجـة الثانيـة إعداد العدة ؛ ولذلك ثنى سبحانه وتعالى برباط الخيل .

وهكذا فإن الأمـة إذا مـا حققت أمنهـا الغذائي وأصبحت معتمـدة على نفسها فإنها بذلك تكون قد قطعت شوطا كبيرا من إعداد القوة ، وهكذا فإن استيراد أي منتوج حضاري لا يمكنه أن يبني حضارة ، وإنما الحضارة كما قال مالك بن نبي ؛ إنما تبنى إذا تحققت المعادلة التالية :[19]

حضارة = إنسان + تراب + وقت .

بشرط تحقق تفاعل هذه العناصر الثلاثة تفاعلا يجعلها منـتجة على أرض الواقع .

ويقـول الحسن البصري –رحمـه الله تعالى– : ((ثم أنـه جلّت قدرته جعل سد حاجاتهم (البشر) وتوصلهم إلى منافعهم من وجهين بمـادة و كسب:

---

[17] الأنفال 60 .

[18] الزمخشري ؛ تفسير الكشاف 174/2 .

[19] مالك بن نبي ؛ تأملات ، ص (198،199) .

المنارة للاستشارات

فأما المادة ؛ فهي حادثة عن اقتناء أصول نامية بذواتها وهي شيئان : نبت نام وحيوان متناسل .

وأما الكسب فيكون بالأفعال الموصلة إلى المادة ، والتصرف المؤدي إلى الحاجة وذلك من وجهين :

أحدهما تقلب في تجارة ، والثاني تصرف في صناعة ؛ وهذان هما فرع لوجهي المادة فصارت أسباب المواد المألوفة وجهات الكسب المعروفة من أربعة أوجه : نماء زراعة ، ونتاج حيوان وربح تجارة ، وكسب صناعة .))[20].

وقد روي عن الرسول –صلى الله عليه و سلم– قوله : " تسعة أعشار الرزق في التجارة والحرث "[21] والباقي في السائبات ، والتجارة هي فرع لمادتي الزراعة والنتاج .[22]

فلا يمكن للأمة أن تحقق أمنها واستقرارها أو أن تحقق تنمية اقتصادية وهي تعيش على استيراد المنتجات الحضارية التي لا يمكنها أن تنتج حضارة ، ولكن عليها أن تعمل على تحقيق أسباب الرزق من زرع نام ونتاج حيوان وربح تجارة وكسب صناعة .

---

[20] أبو الحسن البصري ؛ أدب الدنيا و الدين ، ص 187 .

[21] ضعفه الألباني ، انظر : الألباني ضعيف الجامع ، المكتب الإسلامي – بيروت – ط2 (1408هـ) 2434/2 .

[22] المرجع السابق ص 189 .

المنارة للاستشارات

*** الاستفادة من الغير جزء من القوة اللازمة**

يعرف الاقتصاديون الناتج القومي بأنه " مجموعة السلع والخدمات المنتجة في الأمة خلال الفترة موضوع الدراسة وهي غالبا ما تكون سنوية ".[23]

إن هذا المفهوم في المنظور الإسلامي لا يتحقق إلا إذا كان أجر الخدمات المقدمة يتناسب بما بذل فيها، ولذلك فإن التبعية المطلقة للغرب في كل شئ لا تحقق ناتجا قوميا حقيقيا ، وإن كان الإسلام كما هو معروف لا يمنع الاستفادة من الغير ؛ فقد جاء على لسان الرسول –صلى الله عليه وسلم –: " الحكمة ضالة المؤمن ".[24]

فإنه كما يقول الدكتور تركي الحمد : ((هنا يتخذ ويحدد موقفا من الآخرين وثقافتهم موقفا لا يتسم بالرفض المطلق ولا بالقبول المطلق ، بل هو خاضع ككل شئ في نظم الإسلام إلى مبدأ الوسطية الشهير والتي هي في جوهرها تلتقي كل الالتقاء مع مبدأ وحدة المتناقضات في المنهج الجدلي ، فهي ليست وسطية عددية بقدر ما هي وسطية كيفية (توفيق جدلي) .)).[25]

ولذلك حرم الإسلام الزيادة في رأس المال التي لا يقابلها عوض مشروع ، وهو الربا وإنما أقرّ الزيادة السلعية أو الخدماتية التي تتفق ومقتضيات الشرع وهو يشمل شقين رئيسين:

---

[23] د/ خديجة النبراوي ؛ مرجع سابق ص 285 .

[24] رواه الترمذي و ابن ماجة و في إسناده ضعف .

[25] د/ تركي الحمد ؛ مجلة المستقبل العربي ، في مقال له حول الوطن العربي و البحث عن إيديولوجيا 4/ 1988 ، ص 34 .

المنارة للاستشارات

((1- زيادة السلع التي تحقق مفهوم حد الكفاية الإسلامي ، سواء عن طريق التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو الحرف المختلفة . وهذا المفهوم أساس في التشريع لأنه يعني سدّ احتياجات الشعب حتى لا يشعر بالجوع الذي تنهزم أمامه عقائده وقيمه ... فتحريم الربا معناه تحريم تجارة النقود التي تقتصر على مبادلة النقود عن طريق الديون أو البيوع بزيادة نقدية لا تضمن زيادة سلعية تساهم في إشباع الحاجات الأساسية .

الدكتور : المصري مبروك

2- زيادة الخدمات التي تسهّل حركة التجارة والصناعة والزراعة ، مثل عمليات التصدير والاستيراد وشراء الآلات والبذور والتأمينات والعطاءات والمناقصات والمواصلات ...)).[26]

وهكذا فإن العنصر البشري لا بد من احترامه وإعطائه المكانة اللائقة به ، ليشعر بالانتماء و من ثم يبدأ الشعور بالذات والعمل على تحقيق التوقف والاختراع ، فيكون بذلك عنصرا فاعلا في المعادلة الحضارية التي إذا ما تحققت تحقق معها أمن الإنسان واستقراره .

* الإستراتيجية المنتجة المحققة للأمن و الاستقرار :

إن الوضع الذي يعيشه العالم العربي ضمن الدول النامية ؛ وضع يتسم بالحروب واللا أمن والانقلابات العسكرية المنظمة وغير المنظمة وفق ما تمليه الدول المتقدمة تبعا لمصالحها التي تتقلب و تتلون كالحرباء ، وربما وجدت بعض تلك الشعوب التي تتساقط شعوبها بالموت كتساقط الجراد المعالج بالمبيدات ، بالحروب تارة وبالجوع تارة أخرى وبالأمراض الفتاكة ثالثا ، ورابعا بسياسة تحديد النسل والتقليل من هذه الشعوب ، وهي

[26] د/ خديجة النبراوي ؛ مرجع سابق ، ص 284 .

المنارة للاستشارات

تسير هكذا في هذا الفلك جاهلة أحيانا ومتجاهلة أحيانا أخرى ومن ثم فإنه يتعين على هذه الشعوب عامة والمسلمين خاصة المحافظة على الذات والتمسك بالانتماء الحضاري ؛ العامل المحرك والمفعّل لعناصر الحضارة إذا ما أرادت أن تختار استراتيجية الاختيار الذي يحقق الاستقلال ويبعد الأمة من التبعية المطلقة التي لا تحقق أمنا ولا استقرارا ولا نماء ؛ وإنما تحقق ما يحققه زيل الحمار من وظائف سخر لها !...

واستراتيجية التبعية المتبعة حاليا إنما تهدد الأمن القومي ولا تحققه .يقول مدحت أيوب :[27] ((اتضح من متابعة التطور التاريخي الاقتصادي والسياسي العربي للفترة منذ حصول الأقطار العربية على استقلالها السياسي – بمعنى إجلاء قوات الاحتلال الأجنبي – إلى الآن ؛ أن التبعية قد شكلت متغيرا مستقلا ، ومثّل تهديد الأمن لها متغيرا تابعا لها ، وقد عملت علاقات التبعية على تهديد الأمن القومي العربي من خلال عدت ميكانيزمات أهمها ما يلي :

1- تعميق التجزئة العربية ، وما أدى إليه من افتقاد المقومات الكافية لتحقيق أمن كل دولة عربية اعتمادا على ذاتها .
2- إضعاف قطاع الصناعات التحويلية وما ترتب عليه من افتقاد القاعدة اللازمة لإنشاء صناعة عسكرية متطورة تفي بالاحتياجات الأمنية .
3- فقدان التماسك الاجتماعي الداخلي ...

وكإشارة بسيطة إلى قضية إضعاف قطاع الصناعات التحويلية يشير المقال إلى أن التبعية أدت إلى ضعف قطاع الصناعة التحويلية في

---

[27] مجلة الوحدة ؛ السنة الثالثة ، يناير 1987م –عدد ممتاز– في مقال له حول التبعية و تهديد الأمن القومي العربي ، ص 95 فما بعدها .

المنارة للاستشارات

هذه الدول ، وباستثناء مصر لا يتجاوز نصيب الصناعات التحويلية في الناتج القومي الإجمالي حوالي16% في أكثر الدول العربية ارتفاعا في هذا النصيب في سنة 1981م ، بينما دولة كألمانيا الغربية مثلا 35% ، وإيطاليا 29% ، و اليابان 30% .

<u>– استراتيجية الشرعية الدولية :</u>

إن الشرعية الدولية هي في جوهرها كلمة حق أريد بها باطل ؛ بل الحقيقة الساطعة في ذلك أن الشرعية الدولية إنما تقررها المصالح ، والمصالح تحددها القوة ، إذ المصلحة المقصودة في العلاقات الدولية اليوم هي مصلحة الدول الكبرى .

فقد تبدد مبدأ حقوق الإنسان عندما تعارض هذا مع مصلحة أمريكا ، حيث دكت بآلاف الأطنان من القنابل (TNT) أرض أفغانستان بمجرد الاشتباه في ضلوع القاعدة وطالبان في أحداث الحادي عشر من سبتمبر المشؤوم ، وتبددت الديمقراطية تبعا لذلك ، وهاهي اليوم أمريكا تتجاهل العالم و الشرعية الدولية في إرادتها من أجل تغيير النظام في العراق ، وتبعا لذلك تغيير الخريطة السياسية في الشرق الأوسط ثم العالم العربي والإسلامي تبعا .

وتبددت العدالة من حيث أن أمريكا تدعم إسرائيل وتمدها بكافة أسلحة الدمار الشامل وتريد أن تفتك بالقوة قرارا من مجلس الأمن لضرب العراق بدعوى كاذبة من أنه يمتلك أسلحة الدمار الشامل .

يقول محمد زكريا إسماعيل :((... أما التمسك البريء بالشرعية الدولية فلا نقدر أنه كان الدافع الحقيقي للتحرك الأمريكي (في الخليج) لقد خرقت الولايات المتحدة الشرعية الدولية خرقا فاضحا عندما غزا رونادريفان غرانادا ، وخرقتها مرة ثانية عندما غزا جورج بوش بنما البلاد المستقل

المنارة للاستشارات

العضو في الأمم المتحدة ، ولم تتعرض واشنطن لأية معارضة ذات بال من المجتمع الدولي ، واكتفى الاتحاد السوفيتي بإصدار شجب خجول بعملية الغزو ، لقد تحركت الولايات المتحدة في الحالتين خارج نطاق الأمم المتحدة ، وبدافع من مصلحتها هي كما تفهمها هي وسكت العالم.)).[28]

وهاهي اليوم تتحرك بنفس المصلحة وبنفس الفهم لتضرب العراق وتغير نظامه ، ثم إيران من بعده وهكذا دواليه كل من يقول لا لأمريكا تضربه وتدكه وباسم الشرعية الدولية .

وقد أعلنها بوش الابن كما يسمونه حربا صليبية على الإسلام ، ولذلك فهو يعارض أي قرار من مجلس الأمن ولو لمجرد الشجب للسفاح شارون وزبانيته ، ويصفه برجل السلام وهو الذي لطخ أيديه وأرجله بدماء الأبرياء ، باسم الشرعية الدولية كما تفهمها الولايات المتحدة ، تدعم إسرائيل ويقتل في نفس الوقت الشعب الفلسطيني الأبي ، وبنفس الاسم يغير النظام في أفغانستان وفي العراق وفي ... .

فأي شرعية دولية هذه ؟ التي تنعت الشعب المحتلّ المدافع عن أرضه المغتصبة وعن كرامته المسلوبة وعن حقه المشروع في الشرعية الدولية ؛ بأنه إرهابي ، وأي شرعية دولية ؟ تنعت الإسلام والمسلمين بالإرهابيين لأن بعضا منهم على فرض التسليم قاموا بأعمال إرهابية ، إنه المكر والخداع وقد قال تعالى :((ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين))[29].

---

[28] مجلة المستقبل العربي ؛ في مقال له حول النظام الدولي الجديد بين الوهم و الخديعة ، ص 11 .

[29] الأنفال 30 .

المنارة للاستشارات

أي شرعية هذه ؟ التي تصف ما تقوم به الولايات المتحدة في أفغانستان وفي باكستان وفي الصومال وفي السودان وفي الفليبين وفي فلسطين وفي العراق وفي اليمن وفي كل مكان يوجد فيه مسلم يقول أنا مسلم أدافع عن كرامتي بالحق المشروع للدفاع عن النفس ، وما يحدث هنا وهناك كرد فعل على هذا الحق المشروع المزعوم إرهابا دوليا !

ولقد نعت محمد نور الدين أناية – ظاهرة الإرهاب– بأن هذه اللفظة تكشف في السياق الدولي الراهن ، كثيرا من دلالات الصراع على تحديد معاني لغة القانون الدولي ، والتي تختزل أحيانا منطق التجاذب الدائم بين إرادة الهيمنة الرأسمالية على العالم من جهة ، وبين تطلعات شعوب العالم الثالث نحو التحرر والاستقلال ؛ نعت "الإرهاب" إذن أصبح سلاحا لممارسة إرهاب أكثر مكرا ووحشية ؛ بل أصبح وسيلة دعائية لاستقطاب الناس من أجل دعم المخططات الغربية المعادية لقضايا الشعوب العربية والثالثية .)).[30]

هذا الذي يراد لنا ، وإن كنا لا نريده ، ولن ينتف عنّا هذا الوصف ما دمنا نتبعهم وصدق الله العظيم إذ يقول : ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)).[31]

وإذا ما تخلينا عن ملتنا واتبعنا ملتهم ؛ فإننا تبعا لذلك سنفقد عنصر التراب ومؤثر الانتماء وبذلك نصير عبيدا لهم فوق أرضنا و خدما

---

[30] ندوة " ظاهرة الإرهاب بين دعاوى الهيمنة و قضايا التحرر " ؛ مجلة الوحدة ، السنة الثالثة يناير 1987م ، ص 232 .

[31] البقرة 120 .

المنارة للاستشارات

لهم بخيراتنا ، بل حينها يأنف ذنب الحمار أن نتشبه به ، ونصير كما قال تعالى: ((إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل)).[32]

[32] الأعراف 179 .

المنارة للاستشارات

- **استراتيجية صندوق النقد الدولي** :

إن الاستراتيجية التي يتبعها صندوق النقد الدولي وفق إملاءاته تؤدي إلى إفقاد الدول العربية والإسلامية ودول العالم الثالث قاطبة خاصية الذاتية والاستقلالية ، وترمي بنا وسط التبعية فنصير بذلك عاجزين عن سداد الديون ، وعن وضع استقراري بفقدان الثقة– الحادثة بحكم الإملاءات – بين الشعوب وحكامها ، فنبقى بذلك تابعين وبالتالي لا نحقق أمنا ولا استقرارا ويتحقق الغرض كما رسموه ؛ ولنترك الأرقام تتحدث عن تطور المديونية لدول العالم الثالث :

تطور المديونية الخارجية للبلدان النامية و بعض مجموعاتها الإقليمية للفترة (1970–2000م) ؛ الوحدة مليار دولار .[33]

السنوات مجموعة الدول	1970	1980	1988	1990	1992	1995	1997	2000 *
مجموعة الدول النامية	62	647	1334	1510	1667	2068	2300	2700
إفريقيا	5,7	84	165	190,3	192,8	223,3	233	–
أمريكا اللاتينية	72,7	258,7	458,2	476,7	505,1	,5607	630	–
الشرق الأوسط وشمال إفريقيا	4,4	84,3	177,3	180,8	187,7	217	230	–
آسيا و الباسفيد	19,3	132,4	400,1	479,1	640,5	640,5	660	–
الجزائر	0,945	17	25	27,8	26,8	32	34,5	38

[33] مجلة " دراسات اقتصادية " تصدر عن مركز البحوث و الدراسات الإنسانية – البصيرة – جمعية ابن خلدون العلمية – الجزائر – العدد الأول ؛ 1419هـ/1999م .

* توقعات .

المنارة للاستشارات

إذن لقد عجزت الحلول المستوردة من إيجاد حلول لمشاكلنا التنموية (اجتماعية ، سياسية اقتصادية) وبالتالي لا بد من الاعتبار وتغير الحال بتغير السلوك امتثالا لقول الله تعالى : ((إن لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))،[34] ولنعد قليلا إلى الماضي و لننظر ماذا سجّله لنا التاريخ !

[34] الرعد 11 .

المنارة للاستشارات

هل من استفادة من التاريخ ؟

ينقل لنا مصطفى السباعي[35] كيف كانت أوربا في القرن العاشر الميلادي – الرابع الهجري – وبالمقابل كيف كانت مدن العالم الإسلامي كما جاء في كتب مؤرخيهم ، التاريخ العام للمأفيس ورامبوا ... كانت أوربا في ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة متأخرة في زراعتها ، وتنبعث من المستنقعات الكثيرة في رياض المدن روائح قتّالة ، تجتاح الناس وتحصدهم ، وكانت البيوت في باريس ولندن تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب ولم يكن فيها منافذ ولا غرف مرفقة ... وكانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة تضم الرجال والنساء والأطفال ، وكثيرا ما كانوا يؤون معهم الحيوانات الداجنة ... ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح ، ولم تكن أكبر مدينة في أوربا تضم أكثر من 25000 نسمة بينما كانت قرطبة – مثلا – في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي عاصمة الأندلس المسلمة تنار بالمصابيح ليلا ويستضيء الماشي بسرجها عشرة أميال لا ينقطع عنه الضوء (16كلم) وأزقتها مبلّطة وقمامتها مرفوعة من الشوارع محاطة بالحدائق الغناء حتى كان القادم إليها يتنزّه ساعات في الرياض والبساتين قبل أن يصل إليها ، كان سكانها أكثر من مليون نسمة وكانت حماماتها 900 حمام ، وبيوتها 283000 بيت ، وقصورها 80000 قصر ، ومساجدها 600 مسجد ... كانت فيها ثمانون مدرسة يتعلم فيها الفقراء مجانا ...)).

فأين أوربا اليوم من التطور الشامل ؟ وأين نحن من التخلف الشامل!؟

---

[35] د/ مصطفى السباعي ؛ من روائع حضارتنا ، دار الصديقية – حسن داي الجزائر – ، ص 241 فما بعدها .

المنارة للاستشارات

*** تفعيل الإنسان في العملية التنموية :**

إن الاهتمام ببناء الإنسان هو الاستراتيجية المثلى لإخراج الأمة إلى ربوع هذه الدنيا ولتحقيق أمنها واستقرارها ، وأول ما يحقق ذلك الاهتمام بحاجات الإنسان الفسيولوجية أولا ثم الاهتمام تبعا بحاجاته الأخرى حتى يصير عنصرا فاعلا مؤثرا في مجتمعه .

يقول ابن خلدون في صناعة الفلاحة : ((هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات و الحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها ازدراعها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله و استخراج حبه من غلافه و إحكام الأعمال لذلك وتحصيل أسبابه ودواعيه ، وهي أقدم الصنائع لما أنها محصّلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا ...)).[36]

وقديما قيل ويل لأمة لا تأكل مما تنتج ولا تلبس مما تنسج ، إذ لا بد من تفعيل العنصر البشري في العملية التنموية تفعيلا حقيقيا ، ويعود تحقيق ذلك إلى الوعي الشامل بهذه المسألة التي تعد من الخطورة بمكان إذ لا ينبغي أن يتحكم الغير في قوتك وغذائك ، ولا يصلح هذا إلا في القصّر غير القادرين على تحمل مسؤولياتهم .

واعلم أن صلاح الدنيا كما يقول الحسن البصري : ((معتبر من وجهين :

أولهما ما ينتظم به أمور جملتها ، و الثاني ما يصلح به حال كل واحد من أهلها ؛ فهما شيئان لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه ، لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال أمورها لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها ، ويقدح فيه اختلالها لأنه منها يستمد ولها يستعد ، ومن فسدت حاله مع

[36] مقدمة ابن خلدون ، ص 406 .

المنارة للاستشارات

صلاح الدنيا وانتظام أمورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها أثرا لأن الإنسان دنيا نفسه فليس يرى الصلاح إلا إذا صلحت له ، ولا يجد الفساد إلا إذا فسدت عليه ، لأن نفسه أخص وحاله أمس فصار نظره إلى ما يخصه مصروفا و فكره على ما يمسه موقوفا ...)).[37]

ثم يقول اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتئمة ستة أشياء هي قواعدها وإن تفرّعت وهي :

((دين متبع ، وسلطان قاهر ، وعدل شامل ، وأمن عام ، وخصب دارّ ، وأمل فسيح.)).[38]

ثم يقول : ((و أما ما يصلح به حال الإنسان فيها فثلاثة أشياء و هي قواعد أمره ونظام حاله وهي : نفس مطيعة إلى رشدها منهية عن غيّها ، وألفة جامعة تنعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها ، ومادة كافية تسكن نفس الإنسان إليها ويستقيم أوده بها .)).[39]

وهذا المعنى نستفيده من كلام مالك بن نبي [40] في أن استيراد المنتوجات الحضارية لا ينتج حضارة ؛ وإنما تنتج الحضارة بتحقيق المعادلة : حضارة = إنسان +تراب + وقت ، وعنصر تفاعلها وهو الدين .

وعليه فإن المعمول عليه هو التنمية الشاملة (اجتماعية ، سياسية ، اقتصادية) ، وإغفال أي عنصر فإنه لا يحقق تنمية لأن السياسة إذا أغفلت الإنسان وما يصلحه واهتمت بالاقتصاد فإن الاقتصاد سوف ينهار ولا تقوم له قائمة ، لأن العنصر المحرك فيه هو الإنسان .

---

[37] أبو الحسن البصري ؛ أدب الدنيا و الدين ، ص 112 .

[38] نفس المرجع ، ص 113 .

[39] نفس المرجع ، ص 126 .

[40] مالك بن نبي ، مرجع سابق ، ص ...

المنارة للاستشارات

وإذا أهملت الاقتصاد و اهتمت بالإنسان ؛ فإن صلاح الإنسان ، لا ينفع معه فساد الدنيا لأن بها قوامه :

فإذا صلحت الدنيا صلح معها حال الإنسان .

وإذا صلح حال الإنسان صلحت معه الدنيا .

وإذا فسد أحدهما فسد الآخر تبعا له .

ولذلك لا بد للعمل على إصلاحهما معا ، ولن يصلحا معا إلا إذا روعيت قواعد أمرهما ولذلك لا بد من التغيير الشامل من أجدل بناء الإنسان والاهتمام به أولا ليصلح حاله ، ثم الاهتمام بالدنيا لتصلح بصلاحه ، وليسعد الوطن العربي في كنف الحرية والاستقلال بعيدا عن التبعية للغرب ، امتثالا لقول الله تعالى : ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .)).[41]

– نظرة على الأمن القومي الغذائي العربي :

إن الأمن القومي العربي كان حلما بددته التبعية ، وهو اليوم حلم وسيظل كذلك إلى أن يتحقق بفضل المخلصين من أبنائه (حكام ، سياسيون ، اقتصاديون ، مفكرون) .

ولنكن موضوعيين ؛ ولكن غير فاقدين للأمل ، خاصة عندما نلاحظ الفجوة الحضارية بين الدول المتقدمة والدول النامية إنها فجوة كبيرة جدا ، تدعو إلى كثير من التضامن والتكافل والتشمير على ساعد الجد من أجل تدارك تلك الفوارق الكبيرة وعلى أقل تقدير فيما يحقق الأمن القومي .

– الفجوة الحضارية بين الدول المتقدمة و الدول النامية :[42]

---

[41] الرعد 11 .

[42] مجلة الدراسات الاقتصادية مرجع سابق ، ص (202 ، 203) .

المنارة للاستشارات

مؤشرات مختـــارة	الـــــــدول المتقدمة	الدول النامية
عدد السكان (مليون نسمة)	**1320**	**4180**
نسبة عدد السكان للمجموع العالمي	**%24**	**%76**
نسبة سكان المدن	**%73**	**%34**
المساحة _(كلم2)	**5461000**	**78328000**
نسبة المساحة إلى إجمالي مساحة العالم	**%35**	**%65**
إجمالي الناتج القومي (مليار دولار)	11518,183	2560,796
النسبة المئوية إلى الناتج القومي العالمي	%78	%22
النسبة المئوية من إجمالي الناتج القومي الصناعي العالمي	%91	%9
النسبة المئوية من إجمالي إنتاج الغذاء	%80	%20
عدد المزارعين و الفلاحين (مليون)	35	1500
متوسط دخل الفرد السنوي (دولار)	13500	1085
إجمالي الإنفاق العسكري السنوي (مليار دولار)	700	150
الإنفاق السنوي على التعليم (مليار دولار)	546,743	97,754
الإنفاق السنوي على الصحة (مليار دولار)	550,711	38,191
متوسط نصيب الفرد من الإنفاق الصحي السنوي	**454دولار**	**11دولار**
متوسط نصيب الفرد من الإنفاق التعليمي السنوي	**490 دولار**	**28 دولار**
نصيب الفرد من السعر الحراري اليومي	3395	**2422**
نسبة الحاصلين على الماء الصالح للشرب	%97	%51
متوسط عمر الفرد	**73 سنة**	**59 سنة**
معدل الوفيات بين الرضع (بالنسبة للألف)	**17 وفاة**	**90 وفاة**
الوفيات بسبب الجوع (مليون نسمة)	-	**20 مليون نسمة**
عدد السكان لكل طبيب	**380 نسمة**	**2140 نسمة**
نسبة المتعلمين	%99	%60
نسبة المشاركة في الصادرات العلمية	%88	%12
نسبة الهيمنة على التجارة الدولية	%83	%17
نسبة امتلاك الأرصدة و الأوراق النقدية	%80	%20

المنارة للاستشارات

نسبة امتلاك العملات الأجنبية	%90	%10
احتياطات الذهب	%85	%15
نسبة تحقيق الإنتاج و استهلاكه عالميا	%90	%10
نسبة الاستهلاك النفطي	%85	%15
مصادر الثروة الطبيعية	%35	%65

فلو أخذنا على سبيل المثال :

1 –النسبة المئوية من إجمالي إنتاج الغذاء : فنجد لدى الدول المتقدمة نسبة 80 % في مقابل1320 مليون نسمة ، و لدى دل العالم الثالث 20 % مقابل 4180 مليون نسمة.

في حين أن الواجب بالنسبة إلى العالم الإسلامي فقط 20% من إجمالي الإنتاج العالمي .

2 – الوفيات بسب الجوع :

في الدول المتقدمة – .

في الدول النامية 20% .

3– مصادر الثروة الطبيعية :

في الدول المتقدمة 35% .

في الدول النامية 65 %.

فدول العالم الثالث تملك من مصادر الثروة الطبيعية نحو 65% ، في حين لا تملك من الإنتاج ، إلا 20% فقط بالإضافة إلى 20 مليون نسمة وفيات بسبب الجوع ؛ فهل الفقر محتوم على دول العالم الثالث ؟!

لقد حسم الإسلام القول في مشكلة الفقر بحيث يعتبر الفقر خطر على العقيدة ، وخطر على الأخلاق والسلوك ، وخطر على الفكر الإنساني ، وخطر على الأسرة ، وخطر على المجتمع واستقراره ؛ ويكفي في

المنارة للاستشارات

خطر الفقر قول الرسول الأعظم –صلى الله عليه وسلم – :" كاد الفقر أن يكون كفرا ".[43] وقوله – صلى الله عليه و سلم – :" اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر "،[44]حيث قرن بينهما

ويؤيد هذا المعنى قول بعض السلف :" إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك ".[45]

ولذلك فالإسلام –كما يقول الشيخ العلامة يوسف القرضاوي – يعتبر الفقر مشكلة تتطلب الحل ، بل آفة خطيرة تستوجب المكافحة و العلاج ، ويبين أن علاجه مستطاع ، وليس بمحاربة للقدر ولا للإرادة الإلهية .[46]

وإذا كان هذا شأن الفقر فإن معالجته أكثر من ضرورة لإرساء قواعد أمن و استقرار لدولة تريد أن تحترم .

– السياسات الزراعية في الوطن العربي :

إذا كان الوطن العربي مستهدفا بحكم انتمائه الحضاري و بحكم ما يمتلكه من خيرات وأراض زراعية شاسعة ، وموارد مائية معتبرة ؛ فإنه بات من الضروري أن يهتم الوطن العربي بتحقيق الأمن الغذائي ، ولأنه كما روي عن أبي ذر قوله : " عجبت لمن لا يجد القوت في بيته ، كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه ".[47]

ولعل السياسات العربية فهمت جيدا هذا القول وبدأت ((تهدف السياسات الإنمائية في أغلبية الدول العربية إلى تشجيع زيادة الإنتاج

---

[43] رواه أبو النعيم في الحلية .

[44] رواه أبو داوود .

[45] يوسف القرضاوي ؛ مشكلة الفقر و كيف عالجها الإسلام ، ص 14 .

[46] نفس المرجع ، ص 34 .

[47] يوسف القرضاوي ؛ المرجع السابق ، ص 18 .

المنارة للاستشارات

لتحقيق الأمن الغذائي ، وإلى أقصى درجة ممكنة من الاكتفاء الذاتي وزيادة العائد من الصادرات الزراعية ، والتقليل من حدة الفقر في المجتمعات الريفية وإدماج المرأة في التنمية الزراعية إضافة إلى المحافظة على البيئة بصيانتها والعمل على استدامة الإنتاج الزراعي المرشد بيئيا ...)).[48]

مراعاة البعد الحضاري لتحقيق التنمية والاستقرار ، وواقع العالم العربي

ويؤكد التقرير الاقتصادي العربي الموحد أن أهم مشكلة تواجه تنمية القطاع الزراعي هي مشكلة المياه الذي يعتبر من أهم التحديات التي تواجه الزراعة العربية مع أن إعلان القاهرة لمبادئ التعاون العربي قد أوصى باستخدام وتنمية وحماية الموارد المائية لضمان وتواصل الأمن الغذائي العربي.[49].

* تربية الفرد على الأساس الأخلاقي للإنتاج و الاستهلاك :

وهذا الاهتمام بالقطاع الزراعي ، لا ينبغي أن يغفل بناء الإنسان العربي بناء يجعله فاعلا في هذه العملية التنموية ، لأننا إذا أوجدنا العقل العربي الذي يعرف كيف يفعّل عناصر الحضارة تفعيلا منتجا بحيث يربّى على الأساس الأخلاقي للإنتاج والاستغلال ويوازن بين الواجب والحق ، فلا يغلب جانب الحق على الواجب ، ولا الواجب على الاستهلاك ، بل عليه أن يطالب بقدر ما ينتج.

ويشير مالك بن نبي إلى هذه القضية ؛ إلى قضية الرجل الذي جاء يسأل الصدقة ، حيث قال : ((بينما ترى الرسول – صلى الله عليه وسلم – يعطينا في قصة المتسوّل ... وأشار على الرجل بأن يحتطب ليأكل من عمل يده ... فإذا حللنا هذه القضية من حيث أبعادها الخلقية نرى كيف يحل رسول الله– صلى الله عليه وسلم – أزمة اجتماعية تعرض عليه في صورة متسوّل من

---

[48] التقرير الاقتصادي العربي الموحد ، سبتمبر 2001م ، ص 49 .

[49] نفس المرجع ، ص 51 .

المنارة للاستشارات

المساكين ، فيفضّل – صلى الله عليه وسلم – حلها في نطاق "الواجب" على "الحق" ، أو إذا قدرنا الأبعاد الاقتصادية فإننا نراه – صلى الله عليه وسلم – يفضّل الحل في نطاق "الإنتاج" .

وكل مواقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – الأخرى تدعم هذا الاتجاه ؛ بل هذا التوجيه لأمته إن شئنا في مجال الأخلاق أو في مجال الاقتصاد.)).[50]

هكذا ينبغي أن نكوّن الفرد الذي يحمل هموم أمته يعي واجباته ويقوم بها قبل أن تطلب منه ، ويُعرف له حقه فيعطاه قبل أن يطلبه لأن الإنسان إذا وجد من يهتم به ويدافع عن حقوقه ارتقى بنفسه إلى تحقيق حاجة التقدير ليكون منتجا ليكسب احترام المجتمع ولا يمكن أن يتحقق نماء أو استقرار قبل أن نبني هذا الإنسان الذي بصلاحه تصلح الدنيا وتفسد بفساده .

وقد أدرك أنصار الحماية الاقتصادية خطورة الحرية التجارية وبرروا تدخل الدولة في حماية الاقتصاد الوطني بمبررات أهمها :[51]

– الخوف من الحرب : على اعتبار أن الحماية تساعد على تحقيق الاستقلال الاقتصادي وقت السلم ووقت الحرب ، إذ قد ترتبط دولة بأخرى باسم التخصص غذائيا بدولة أخرى ، وقد تدخل معها في حرب فيؤدي ذلك إلى انقطاع الغذاء عنها وبالتالي تقع في حرج كبير .

---

[50] مالك بن نبي ؛ المسلم في عالم الاقتصاد ، دار الفكر ، ص 89 .

[51] خلاف عبد الجبار خلاف ؛ القيود الجمركية و تطور التجارة الخارجية للدول الآخذة في النمو ، (أصل الكتاب دكتوراه دولة) ، ص(16،17) ، و حسنين عادل أحمد و شهاب الدين ؛ الاقتصاد الدولي ، ص 229 .

المنارة للاستشارات

– حماية القطاع الزراعي : على اعتبار أن التخصص قد يؤدي في بعض البلدان إلى القضاء على الزراعة وعلى المزارعين الذين يلعبون دورا هاما في توازن الإنتاج في الدولة ، وهذا التخوف يحتم على الدولة حماية نظام الزراعة من المنافسة الأجنبية ومن الاندثار ، ومن أهم الأمثلة التطبيقية على ذلك ما تعهدت به الحكومة البريطانية من حماية الإنتاج الزراعي المحلي من المنافسة الأجنبية ، وذلك بدفع معونة سنوية للزراع بتعويض الفرق بين تكاليف إنتاج المحاصيل الزراعية محليا وثمن المحاصيل الزراعية المستوردة ، وفضلا عن ذلك فإن حماية القطاع الزراعي يدخل في نطاق الأمن الغذائي خاصة عند الحروب .

ولقد دأبت أوربا على حماية المنتوج الزراعي وتدعيمه ، الشيء الذي أثار حافظة أمريكا والتي بدورها تقوم بالتقانة الحيوية وبالأخص عملية التهجين التي ترفضها أوربا لخطورتها على الكائن البشري ، ويبقى العالم الثالث يتفرج على هذا الصراع الاستراتيجي ولا يهمه إلا لقمة يضعها في فيه لا يدري كيف جاءت ولا مدى خطورتها على صحته بل وحتى على أراضيه ، وقد رأينا بعض الفلاحين العرب يشتكون من استيراد البذور من إسرائيل وبعض الأسمدة التي قضت على صلاحية التربة وإن استوردت باسم غير إسرائيل ، وذلك لأن إسرائيل أدركت جيدا أن من استطاعت أن تتحكم في قوته تحكمت في سيادته وفي قراراته ، ولا تزال الدول العربية في سباتها العميق الذي تصحو منه حينا وتغوص فيه أحيانا كثيرة ، ولنلق نظرة مختصرة على التقرير الاقتصادي العربي الموحد حول هذه الصناعة

المنارة للاستشارات

الاستراتيجية الضرورية لحياة الإنسان ولتحقيق الأمن والاستقلال ؛ جاء في التقرير :[52]

1 – لا يغطي الإنتاج الزراعي العربي إلا حوالي نصف الاحتياجات من الغذاء ، والباقي يستورد من الخارج .

2– الشيء الذي يعيق الإنتاج الزراعي في الوطن العربي هو مشكل المياه ، الشيء الذي سيجسد العجز في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء في الدول العربية مستقبلا .

3– المخرج من هذا المشكل هو العمل على ترشيد الري ، والتوسع في إعادة استعمال (مياه الصرف الصحي) المعالجة في الزراعة ، واستعمال مياه التحلية والعمل على تثبيت حقوق الدول العربية في مياه الأنهار المشتركة مع الدول المجاورة .

4– أهم الواردات الغذائية للعالم العربي في سنة 1999م مثلا

- **الحبوب و البقوليات 35% بفاتورة تقدر بـ 6,2 مليار دولار .**
- **الألبان و منتجاتها 11% .**
- **سكر خام 07% .**
- **لحوم 08% .**
- **الشاي والبن والتبغ .08%.**
- **زيوت نباتية 08 % .**
- **مواد أخرى 23 % .**

[52] التقرير الاقتصادي العربي الموحد ، الفصل الثالث ؛ القطاع الزراعي ، ص 35 فما بعدها .

المنارة للاستشارات

حيث بلغت فاتورة الغذاء المستورد عام 1999م 419, مليار دولار .

5- تقدر قيمة الفجوة الغذائية عام 1999م لأهم السلع الغذائية بنحو 12 مليار دولار وتتصف الفجوة الغذائية بالتذبذب من عام إلى آخر بسبب التغير في الإنتاج النباتي والحيواني وحجم الاستهلاك وتقلبات الأسعار العالمية ، وهناك عجز في معظم السلع الغذائية في الوطن العربي عدا الأسماك و الخضار و الفواكه ، وتمثل الحبوب المكون الأكبر لهذه الفجوة لأن نسبة الاكتفاء معها تبلغ 05 % فقط . وإليك مخطط تبييني :

والملاحظ من هذا المخطط أن الفجوة الغذائية كبيرة جدا بين الواردات الغذائية والصادرات الغذائية للوطن العربي .

فنجد أن قيمة الصادرات لم تزد في أحسن

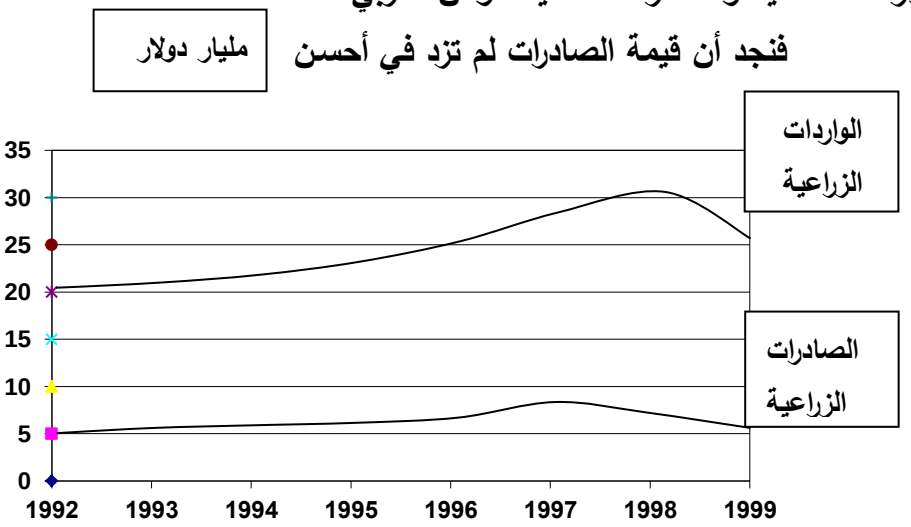

حال على 7 مليار دولار وذلك سنة 1997م ، في حين أننا نجد الصادرات تراوحت ما بين 20مليار دولار و30 مليار دولار وهذا مما يستدعي من الدول العربية أن تتدارك الأمر قبل فوات الأوان مع قدوم المنظمة العالمية للتجارة ،

المنارة للاستشارات

ومع العولمة الاقتصادية التي ستكون هيمنة اقتصادية إن لم نتدارك الوضع ونرشد طاقاتنا البشرية والمادية ونسخرها في تنمية وطنية مستديمة تأخذ في الحسبان الأمن القومي العربي الإسلامي تجسيدا لخصلة التكافل الاجتماعي المبني على أسس أخلاقية تجعلنا نقوم بالواجب ونعطى الحق ، ونستهلك بقدر ما ننتج ؛ هذا وقد أكد التقرير الاقتصادي العربي الموحد على ضرورة التكافل العربي حيث جاء فيه : ((بالرغم من جهود العمل الاقتصادي العربي المشترك والتي امتدت لعدت عقود ، إلا أنها ما زالت محصورة في نطاق ضيق ومحدود لا يتناسب مع الموارد والإمكانات المتاحة من ناحية ، ومع الضرورات الموضوعية لمزيد من خطى التكامل من ناحية أخرى ، وفي ظل التكتلات الدولية وتحرير التجارة وزيادة حدة المنافسة الدولية فإن أسواق الدول العربية قد تواجه منافسة شديدة ستؤثر على قدراتها في الإسراع بتنمية أنشطتها المحلية بما فيها القطاع الزراعي ، وتستطيع الدول العربية مجتمعة أن تستفيد من الامتيازات التي يتيحها تحرير التجارة ... إن ما تم في مجال تحرير التجارة من قيام الدولة العربية بتحقيق الرسوم الجمركية والضرائب على السلع الزراعية ذات المنشأ العربي في إطار تطبيق منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى ما هو إلا خطوة يتعين أن تتبعها خطوات متعددة لتعميق التكامل الاقتصادي العربي .)).[53]

الدكتور : المصري مبزوك

والخلاصة أن الأمن والاستقرار لا يتحققان إلا إذا روعيت شروط الحضارة ؛ من الاهتمام بالإنسان وبنائه بناء شموليا ، وترشيد عنصر التراب ترشيدا اقتصاديا اجتماعيا تراعى فيه العدالة في التوزيع ، وأن من عمّر

[53] التقرير الاقتصادي العربي الموحد ، ص 55 .

المنارة للاستشارات

أرضا فهو أولى بها ، والعمل على ترشيد المياه والمحافظة عليها ، وكذا مراعاة الزمن الذي نعيشه حتى لا نعيش بعقلية الماضي ، وتفعيل تلك العناصر الثلاث - الإنسان التراب ، الزمن - بعامل الانتماء الحضاري الذي لا نعزّ إلا به ، و صدق عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – إذ قال : " نحن العرب كنا أذلاء فأعزّنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غير الإسلام أذلّنا الله " .

وهذا الذي نعيشه ونحياه ، فلا بد إذن من التنمية الشاملة (اجتماعية،سياسية واقتصادية) والاهتمام بالمجتمع في أولى الأولويات لنبني مجتمعا واعيا راشدا ، يعي رسالته في هذا الوجود ويعمل على تحقيقها .

* و الله المستعان *

المنارة للاستشارات